

2012

استلزام التخاطب في معاني العطف

أحمد كروم

a.kerroum@uiz.ac.ma, كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#), and the [Linguistics Commons](#)

Recommended Citation

"استلزام التخاطب في معاني العطف", كروم, أحمد (2012) Dirassat: Vol. 15 : No. 15 , Article 10.
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol15/iss15/10>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

استلزام التخاطب في معاني العطف

أحمد كروم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أكادير

المقدمة

أشار اللغويون إلى القصد في أسلوب العطف، انطلاقاً من تعريفهم له بأنه البيان، والنسق، وهم يقصدون بدلالة هذا المصطلح؛ موضوع الغرض الذي يعني الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه⁽¹⁾. فقد اختار النحاة كلمة العطف للدلالة على صيغة معينة من صيغ التعبير اللغوي حيث يكون التابع دالاً على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، وحيث يتوسط بينه، وبين متبوعه أحد الحروف المسماة بحروف العطف مثل "قام زيد وعمرو" فعمرو تابع مقصود بنسبة القيام إليه مع زيد⁽²⁾، ثم ربطوا موضوع العطف بآلياته التواصلية، التي تعبر عن قصد المتكلم، فقالوا هو: "أن تقيم الأسماء الصريحة غير المأخوذة من الفعل مقام الأوصاف المأخوذة من الفعل"⁽³⁾. ثم فصلوا الكلام في هذه الأغراض التي منها البيان و الكناية والمجاز فقالوا : هو اسم غير صفة يكشف عن المراد، وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة⁽⁴⁾.

فأغراض العطف حين ينظر إلى طريقة استعمالها في اللغة، يتضح أنها تؤسس خطاباً استلزامياً معرفياً، بواسطة الوضعية التواصلية لخطابه، والطبيعة المتميزة لحروفه التي تفيد المعاني النسقية في ربط الكلام وترتيبه. وهنا نجد الكاتب والأديب المستعمل لمعاني العطف في خطابه أو أسلوبه، يعتمد "التعلق" في بناء المعاني؛ وهو استلزام جزء من الكلام لجزء آخر يتمم فائدته بواسطة مجموعة من المعاني التي تؤديها

(1) ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، ص. 324 .

(2) الشريف الجرجاني: التعريفات ، الدار التونسية للنشر، 1971 ، ص. 81 .

(3) ابن جني :اللمع في العربية ، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1985 م ، ص. 148.

(4) ينظر الزمخشري :المفصل ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت -لبنان، 1323 هـ، ص. 122-123 .

الحروف حسب المواضيع التواصلية المناسبة؛ كالاستثناء، والشرط، والصفة، والعطف، والبدل ... فيكون إرجاع الكلام إلى الكلام، أو إخراجه منه، موطننا لرصد عدد من الاصطلاحات التخاطبية المتصلة بظواهر التعلق المعنوي المعروفة في البلاغة العربية . وقد اعتمد بعض الباحثين مصطلح "الربط التوفيقي" بدل "العطف" أو "عطف النسق"، وذلك بناء على ما يستلزمه من إحداث في أثره الإعرابي، "لأن العطف مصطلح قائم على أساس الجمع بين أدوات متشابهة في إحداث الأثر الإعرابي⁽⁵⁾.

فقد أسهم موضوع الاستلزام في الخطاب القصدي للعطف في التأثير التواصلية الذي يَنْظُرُ بين اللفظ والمعنى، لكون النسقية في العطف لها أبعاد شعورية وعقلية كما عبر عن ذلك التوحيدي (ت. 414 هـ) بقوله : "فاللفظ طبعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة".⁽⁶⁾ وهي إشارة إلى التعبير المنهجي التواصلية لأهمية المعنى في تركيب الألفاظ، وصياغة المباني حسب الأوجه والمناسبات اللغوية الخاصة بالتخاطب.

فاختيارنا لموضوع استلزام التخاطب في العطف ، ينطلق من الأبعاد التصورية للتعلق المعنوي في أسلوب العطف، الذي يعبر عن نظرية بلاغية تداولية في الفكر اللغوي العربي . وهذا النوع من البحث يحتاج إلى المزيد من التعقب للنصوص التي تتضمن مناسبات معينة، كما هو الشأن عند التوحيدي في "الإمتاع والمؤانسة"، أو عند الجاحظ في "الحيوان" و "البخلاء"، وغيرها من الكتب البلاغية الأخرى التي يمكن أن يعتمد عليها في بناء تصور نظري لهذا الموضوع .

أولاً : استلزام معاني العطف في التصور البلاغي

يعتبر الاستلزام التخاطبي Conversational Implicature عند غرايس من المفاهيم المركزية في مجال التداوليات، لكونه يشكل عنصراً في معنى الكلام؛ بحيث يؤسس جانباً في قصد المتكلم دون أن يكون طرفاً فيما يقال⁽⁷⁾. وهذا الإجراء التداولي الذي اهتمت به الفلسفة التحليلية للغة، مازال لم يستثمر في التطبيقات البلاغية

(5) عكاشة عمر يوسف : النحو الغائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان، 2003، ص. 305-305 .

(6) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997 م.، 115/1.

(7) Laurence R. Horn, *The handbook of pragmatics*, Wiley-Blackwell, 2005, p . 7- 8. 8 .

والاستعمالات اللغوية، خصوصا في الدراسات العربية. فعلى مستوى هذا المفهوم، يمكن أن نوضح وبطريقة منهجية مكونات المعنى التعاقدى لبعض الاستعمالات البسيطة أو المركبة في اللغة، بحسب المناسبات المستعملة.

فنظرية "الاستلزام التخاطبي" لها جوانب أساسية في اللغة والمنطق تتصل بمسألة الربط بين المعاني، وتفترض أن السامع يجب أن يكون قادرا على تمييز ما يقال ثم العمل على تحديد العلاقة بين ما يقال، وما هو ضمني. وأن ما يقال يجب أن يكون متاحا للمؤول، ليطبق عليه قيد الإتاحة Availability Constraint حسب فهمه للمعاني المنقولة. كما أن مبادئ الاستلزام تشير إلى أهميته الاجتماعية والتواصلية، رغم أن الاستلزمات لا تشتق من معنى الجملة، ولكن التعاقدات تعطي للكلمات و الجمل والتراكيب معانيها، بحيث يكون لها أدوار في القواعد الدلالية؛ فهي تحدد المعاني والتضمينات مباشرة في متواليات الخطاب، ثم إنها تسند الاستلزمات الإضافية إلى الأشكال اللسانية، وكأنها تتضمن معاني خاصة عن طريق القواعد الدلالية⁽⁸⁾.

فاستلزام معاني العطف في التصور البلاغي يرتبط ببعدين أساسيين يستلزمهما الكلام : بعد عقلي، والآخر تأثري. فالبعد العقلي يتجلى في التصور الذي ينفذ البلاغي من خلاله إلى الجامع العقلي في الاشتراك في المخبر عنه، أو في الخبر، أو في قيد من قيودهما، أو تماثل بينهما. ولذلك ينقل عن العقل في بناء المعاني واختيارها : "والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى الوسائط الكلية، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركبة، ليتوصل بتوسطها إلى استنباطها، والإحاطة بالمعاني المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة ليتوصل بتوسطها إلى تحقيق إثباتها"⁽⁹⁾. ولا يبتعد هذا التصور للعقل في بناء المركبات التي يدخل في مواضيعها معاني العطف، ما أشار إليه السكاكي بدور الجامع العقلي في العطف، وذلك في قوله : " والجامع العقلي هو أن يكون بينهما اتحاد في التصور. فإن العقل بتجريده المثليين عن التشخص في الخارج، يرفع التعدد عن البين، أو تضاييف كالذي بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب، أو السفلى والعلو، والأقل والأكثر، فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن،

(8) Wayne A. Davis: *Implicature: intention, convention, and principle in the failure of Gricean theory*, Cambridge University Press, 1998, p 155.

(9) الإمتاع والمؤانسة، 216/2.

وأن العقل سلطان مطاع⁽¹⁰⁾. وقد أشارت البلاغة العربية إلى هذا الموضوع في باب الفصل والوصل، وهو من أهم الأبواب البلاغية التي تحتاج إلى الذكاء في استعمال الفكر كما يقول الجرجاني:

"واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة، أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"⁽¹¹⁾. فموضوع استلزام التخاطب يتوقف على الذكاء في ربط أجزاء الكلام، وعقد الصلة بين تلك الأجزاء وصلاً أو فصلاً؛ فإن في الفصل أحياناً ضرباً من الجمع، ووضع كل معنى في موضع علاقته بما قبله وما بعده، وهذا أهم ما في نظم الكلام وتركيبه وترتيب أجزائه؛ لأن فيه ترتيباً للأفكار ونظماً لأجزائها مثل العقد، يراعى فيه الانسجام والاتساق، والتعاقب والترابط، وهو يحتاج إلى ملكة مالكة وقدرة بارعة وذكاء لِمَاح⁽¹²⁾.

نلمس تجلياتهما النظرية في النص التأسيسي الذي عرضته المناظرة التي جرت بين السيرافي، ومُتّى بن يونس المنطقي في مجلس ابن الفرات وهي تشير إلى مدلول استلزام التخاطب للعطف؛ حيث جاء في محاور جدلها حول تعلق المعنى في أسلوب العطف، قول ابن الفرات:

"أيها الشيخ الموفق، أجب بالبيان عن مواقع" الواو "حتى تكون أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع هذا فهو مشنع به. فقال أبوسعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: "أكرمت زيدا وعمرا"، ومنها القسم في قولك: "والله لقد كان كذا وكذا"، ومنها الاستئناف في قولك: "خرجت وزيد قائم" لأن الكلام بعده ابتداء وخبر،... ومنها أن تكون أصيلة في الاسم، كقولك: واصل، واقد، وافد، وفي الفعل كذلك، كقولك: وجل يوجل، ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل: { فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِجَبِينٍ وَنَادَيْنَاهُ }...، ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر، كقولك: استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة⁽¹³⁾. فكان بيان هذه الأغراض للعطف

(10) مفتاح العلوم، ص. 253.

(11) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، 9/3.

(12) جوارى أحمد عبد الستار: نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2006، ص. 94.

(13) الإمتاع والمؤانسة. 88/1.

عند السيرافي من باب التمكن من فهم معاني اللغة، والدراية بمعاني حروفها التي قال عنها: "ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها" (14).

حينما عرض التوحيدي هذه المناظرة بكاملها، التي انتهت بقول متى: "لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي" (15)، أشار إلى استلزام التخاطب في موضوع العطف الذي يمثل في نظره المعاني والألفاظ وارتباطها بالقضايا اللغوية والمنطقية. فقد رأى بعد إبداء التمعن، أن المناظرة تستلزم جانباً ثالثاً في خطابها القصدي يهتم بلاغة المعاني، والأشياء المقربة. ولهذا نجد التوحيدي يجعل نفسه موضعاً في هذه المناظرة ويميز لنفسه فناً مضافاً، فيقول عن نفسه: "وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقتكم، وبين خطأكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال،... فأما إذا حاولت فرش المعنى، وبسط المراد فاجلّ اللفظ بالروادف الموضحة، والأشياء المقربة، والاستعارات الممتعة، وبين المعاني بالبلاغة، أعني لوح منها لشيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عزّ وحلا، وكرم وعلا؛ وأشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يُمتري فيه أو يُتعب في فهمه أو يُعرج عنه لاغتماضه؛ فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق؛ وهذا باب إن استقصيته خرج من نمط ما نحن عليه في هذا المجلس؛ على أنني لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أو لا؟" (16).

يدرك المتأمل في هذا النص، أن التوحيدي تأثر بموضوع الاستلزام في خطاب العطف، الذي رأى فيه موضوعاً خصباً للمحاجة والجدل في المعاني التي يحملها، فأراد أن يجعل منه مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة، كما هو الشأن عند معاصره العسكري أبي هلال (ت395هـ) في كتابه "ديوان المعاني" (17)، الذي يرى أن عطف المعاني له قوة استدلالية تحتاج في فهمها إلى استنباط، وتعليل، وبيان للحدود، ومقاصد للأغراض. وهذا التصور البلاغي ينظر إلى الكلام على أن بعضه تابع لما قبله؛ وصفاً

(14) الإمتاع والمؤانسة، 87/1.

(15) المصدر نفسه، 1/91.

(16) المصدر نفسه، 93/1.

(17) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، تحقيق: أحمد حسن بسج، باب العطف، دار الكتب العلمية، لبنان، 1994.

ونعتا وحالا، أو توكيدا أوبيانا؛ أو أن شأن الجملة مع الجملة التي قبلها على ارتباط وتعلق، واجتماع ندين متماثلين إن جاز التعبير بذلك. وهذا الموضوع يحيل إلى جوانب نفسية وفنية في الجمل الكبرى التي تجمع بينها فكرة أو قضية أو صورة أدبية شعرية أو نثرية، ثم يكون ظاهر الحال فيها أن أجزاءها لا تتواصل ولا تتجمع ولا تشترك في حكم؛ ثم يكون الحكم الذي يعتد به في الوجهة النفسية والفنية والتعبيرية أقوى سلطانا من ظاهر الحال، وأدعى إلى وصل أجزاء الكلام بعضها ببعض، أو ترك ذلك أحيانا أخرى(18).

يدل هذا الكلام على أن هناك تعلقا في المعنى يتجاوز ما أشار إليه البلاغيون في عطف المعاني، ومثال ذلك على مستوى الحوار في القصص القرآني؛ قصة نوح عليه السلام وما كان من أمره مع قومه، فإن فيها البديع من فنون التعبير والوصل والفصل، وتقليب وجوه الكلام بين سؤال سائل، وجواب مجيب، ووصف حالة، وذكراء في الوصول إلى المعاني التعاقدية للكلام: (وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَكَّا نَحْاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) هود: [39-36].

فالذي يتأمل مواضع استلزام المعاني عن طريق الفصل والوصل، بين الجمل لابد أن يجد في ذلك من الأمور ما يتجاوز القواعد التي قررها علماء المعاني، فنظرة في قصة صنع الفلك التي أشارت إليها الآية، تشبه استئناف الحديث، والخوض في موضوع جديد لا يتصل من الموضوع العام في أمر قوم نوح إلا بما يجمع بين أجزاء الفكرة، ويضم أطرافها وشتاتها.

ولكن الوصل في هذا الموضوع جاء ليشعر القارئ أو السامع بأمرين أساسيين، أحدهما: إعادته إلى أصل الفكرة وجوهر الموضوع، بواسطة وصل ما انقطع من الكلام (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه)، والآخر للتدليل على أن ما بعد الواو جزء من الكلام، وله منزلته الخاصة التي ينفرد بها

(18) يرجع إلى دلائل الإعجاز، 17/2 - 16.

ثم هناك صورة الفصل في الموضع الذي يليه (وكلما مر عليه ملاً من قومه سخرُوا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون). وعندما نتأمل الإعجاز البلاغي في المعاني الاستلزامية للخطاب، نجد في هذا المقطع تفسيراً ضمناً لسخرية السآخرين، وفيه رد عن تلك السخرية؛ قولاً، والوعيد بالرد عليها فعلاً⁽¹⁹⁾. وفي إيضاح هذا المعنى يقول السكاكي: "وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة:

♦ إما لتبنيه السامع على موقعه.

♦ أو لإغناؤه أن يُسأل.

♦ أو لئلا يُسمع منه شيء.

♦ أو لئلا ينقطع كلامه بكلامه.

♦ أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ⁽²⁰⁾.

وتشير هذه الجهات إلى ما يمكن أن نسميه بالسلطة الخطابية للاستلزام، كما أشار الأستاذ محمد الخطابي إلى ذلك بأن الجهات الثلاث الأولى اعتبارات تتعلق بالسامع، ويمكن إجمالها في ثلاثة هي: تبنيه السامع، وإغناؤه عن السؤال، وإسكاته عن الكلام، بينما يتعلق الرابع بسلطة المتكلم وتبنيه بإمكان إشارة الكلام للقول، استفهاماً في ذهن السامع فيبادر إلى الجواب قبل السؤال لضمان الاستمرار في الكلام؛ أما الاعتبار الخامس فيتعلق بالخطاب نفسه، بحيث يستغني عن تكرير السؤال بين كل قولين، إذ لو تكرر لثقل الخطاب بكلام حقّه أن يستغني عنه اعتماداً على ما يقتضيه المقام، أي الاستغناء عن إظهار رابط لفظي بتقدير زوج السؤال (المقدر) للجواب الذي يظل ثاوياً في عمق الخطاب المخرج على هذا النحو⁽²¹⁾.

ثانياً: استلزام الخطاب القصدي في معاني العطف

استعان البلاغيون بالخطاب القصدي في موضوع الاستلزام في معاني العطف في عدد من المناسبات قصد الإقناع والإفادة، فاستعملوه في عدد من القضايا التي يقصدون من خلالها تحديد ماهية الأشياء، وما يستلزمه تعريفها من المعاني في أغراض مختلفة؛ منها:

(19) نحو المعاني، ص. 102.

(20) السكاكي، يعقوب: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص. 110.

(21) محمد خطابي: لسانيات النص، ص 116.

1- بيان الحد أو المفهوم

ويكون هذا البيان بطريقة بليغة، وصياغة لغوية محبوكة تعتمد المعنى في عطف أجزاء الكلام قبل تركيبه، وربط القواعد الدلالية بمعاني الكلمات، أي بناء مستلزمات الدال بالمدلول. ويظهر هذا الجانب في عدد من المواضيع؛ التي أشار إليها السكاكي في التحديدات العطفية التي يستلزمها الخطاب القصدي، ومنها مثلاً تعريف الحقيقة بجميع أجزائها : "وأن الحقيقة إذا عرفت بجميع أجزائها، سمي حدا تاماً، وهو أتم التعريفات. وإذا عرفت ببعض أجزائها سمي حدا ناقصاً، وإذا عرفت بلوازمها سمي رسماً ناقصاً، وإذا عرفت بما يتركب من أجزاء ولوازم سمي رسماً تاماً" (22). ومن الأمثلة التي جرت على نمط الاستلزام في الخطاب القصدي : تحديد أنماط البلاغة : "فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولا، والمعنى من كل شيء مكشوفاً، واللفظ من الغريب بريئاً، والكناية لطيفة، والتصريح احتجاجاً، والمؤاخاة موجودة، والموامة ظاهرة" (23). وهو تحديد تظهر فيه الخصوصيات التامة لمعاني العطف التي تعتمد على الجمع بين المفاهيم المتواردة والسياقات المناسبة التي يستلزمها تحديد مفهوم البلاغة. وقد ذكر منها في هذا التعريف: (النحو، والمعنى، واللفظ، والكناية، والتصريح، والموامة). وفي الأطراف المتتالية من المعاني المضمنة في أجزاء العطف، نلاحظ أحوالاً تمييزية للمعطوفات تكاد تؤلف فضاء اصطلاحياً متدرجاً في الوضوح من أجل ضبط البيان، وهي : (القبول، والكشف، والبراءة، واللطافة، والاحتجاج، والوجود، والظهور). وهذا النمط من الترتيب في إدراج معاني العطف في التحديدات والتعريفات يميز في إطار الاستلزام التخاطبي للعطف بين أمرين:

أ - التعاريف المتفرعة عن الدلالات المتقابلة للأنواع والأجناس المتقاربة

ويظهر ذلك في المثال السابق من خلال تمييزه بين حدود الأجناس ومفاهيمها البلاغية الأخرى التي ميز مفاهيمها بواسطة معاني العطف من خلال مستويين :

♦ مستوى ضوابط البيان : فذكر : بلاغة الخطابة، وبلاغة النثر، وبلاغة المثل، وبلاغة العقل، وبلاغة البديهة، وبلاغة التأويل، وهي تقسيمات تُظهر ضوابط البيان عند التوحيدي في رسمه لحدود الأسامي ومفاهيمها معتمداً في عطف معانيها بالاعتماد على خصائص البحث الأسلوبي.

(22) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص.436.

(23) الإمتاع، 2/252.

♦ مستوى الاختيار و"الانتقاء": أو ما عبر عنه أبو هلال العسكري بـ "حسن الرصف وإضافة اللق"؛ وهو اعتماد يتجه فيه همّ المحدّد أو المصطلح في القضية المثارة إلى البحث عن الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدلا من جملة أخرى، وتفضيل تركيب على آخر، حتى وكأنّ القارئ ليجد كلاما يشتهه أوله بآخره وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ومقرونة بلفقها (24).

وقد اعتبر التوحيدي ضمينا هذه الملامح المميزة لمعاني العطف في تحديده لضروب البلاغة في الخطاب القصدي من قبيل النسج الأسلوبي، الذي لم يسبق إليه في التصور العقلي في رسم المعاني وتشكلها، ولهذا نجده يعالج بالطريقة نفسها، عددا من التحديدات، كمفهوم "السكينة" التي نقل فيها مجموعة من المعاني العطفية التي ميز بين أنواعها؛ كالسكينة الطبيعية، والنفسية، والعقلية، والإلهية (25)؛ وضروب الفلسفة (26).

وهو ما نجده كذلك عند الجاحظ في وصفه لباب تدقيق المعاني العطفية المتفرعة من دلالة الكلمات في تمييزه لمفهوم الكتاب بقوله: "وبعد فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر، وناطقاً ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء؟ ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى؟ آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعه من رباب الوديعه..." (27).

ب - القصد الاستدلالي في خطاب العطف .

يتحقق هذا الاعتبار في اعتماده على طلب الشاهد في ضبط المعاني؛ فموضوع معاني العطف يرتبط لغويا بمعاني حروفه (خصوصا حرف الواو) الذي يتميز بتداخل استدلال في استعماله والتداخل بين مستوياته، لذلك فإنه حقق في مقامات مختلفة، كالسخرية، والإمتاع والمؤانسة سمة إيجابية للفعل الاستدلالي الحجاجي، الذي بواسطته تم التأثير على المستمع، وإقناعه بالأدوار الخطابية بما يدل عليه في الحجة من معنى مخصوص، كالاشتراك أو مطلق الجمع بين التركيبين. فيتعامل الخطاب القصدي للعطف

(24) الصناعتين: ص. 109.

(25) الإمتاع والمؤانسة، 1/146.

(26) نفسه، 2/174.

(27) الجاحظ أبو عثمان: المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1969 م، ص. 6-7.

مع المعنى في هذه الحروف على أنه استثمار لعلاقات متعددة تضم الملفوظ (Enoncé) مع ربطه بظروف المقال، وما يستتبع ذلك من تحديد لمجموعة من القرائن المعنوية المحددة لطبيعة الخطاب، أي الاهتمام بالمجال التداولي، وكذلك بموضوع الدلالة (Signification) التي تتصل بالجمل من حيث دراستها بلاغيا لتحديد صدقها وكذبها. ولا يخفى في هذا المجال، دور الجانب التداولي الذي يسعى إلى تحليل هذه الجمل، و عدم اختزال وصف قيمتها الإخبارية في وصفها الدلالي فقط، وإنما ليبرهن على الطريقة التي تسهم فيها قرائن العلاقات بإعطاء اتجاه تداولي للجمل في إطار استعمالها اللغوي، وأيضا لفرض نتيجة على المخاطب عن طريق التحوار المتبادل الذي يستلزمه الكلام.

ف نجد صفة القصديّة الموجهة للكلام تتحقق عندما يستهدف المتكلم النتيجة التي يسعى للتأثير على مخاطبه بغرضها المنجز عن طريق التأويل، والقياس والنظر. ففي هذا المجال تدخل روابط الاستدلال الحجاجي (les connecteurs argumentatifs) وضمنها حروف المعاني العطفية ؛ لأن : "دورها الوظيفي هو توجيه الجمل الاستدلالية الحجاجية، وأيضا إدخال المبادئ العامة التي تجعل الحجاج ممكنا" (28).

وفي هذا السياق نجد الآلة الاستدلالية في موضوع العطف، تطلب الشاهد المنقول والمعقول الذي يفيد الحرف فيه معنى الاشتراك، أو القران، أو التكرار، وذلك في مواضيع متنوعة وفي سياقات لغوية مختلفة. نذكر منها في الخطاب الشعري:

الهوى والشباب والأمل المند شؤد توحى فتبعث الشعر حيا

والهوى والشباب والأمل المند شؤد ضاعت جميعها من يديا (29)

فيكون تتابع الصور الاستعارية الثلاث الأولى (الهوى والشباب والأمل) تتابعا يشي بمكانتها المتساوية في ذات الشاعر بدلالة توظيفه حرف العطف (الواو)، ويأتي حرف العطف (الفاء) الذي يفيد الترتيب مع التعقيب كي يكون جسرا بين الصور الاستعارية الثلاث والصورة الرابعة، إشارة إلى استلزام اقتران حضور الصورة الرابعة بحضور الصور الثلاث الأولى.

(28) MOEHLER, Argumentation et conversation, Eléments pour une analyse pragmatique du discours, Paris, Hatier, 1985, p 58.

(29) بشارة عبد الله الخوري: شعر الأختل الصغير ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ص.160.

وهذا القصد الاستدلالي في حروف العطف كان سببا في تكرار حروف المدّ على مدار البيتين وبطريقة تلفت النظر؛ بحيث تشكل ملمحا إيقاعيا بارزا يؤكد رغبة الشاعر القصصية أو اللاشعورية في إطلاق الآهات والحسرات على شبابه وأمله، ذلك الأمل الذي احتل مساحة مكانية أكثر من الهوى والشباب، إذ احتضنته صورة استعارية مكنية جعلته (ضالة الشاعر المنشودة) عبرت عن قدرة الأمل على أن يكون جسرا دلاليا يربط بين الهوى والشباب على حد سواء⁽³⁰⁾. فكان تشعب التكرار في مسارب مختلفة، تكرار شطر بأكمله، وفي الوقت نفسه تكرار أسماء وحروف حلق متناغمة، وقد كانت كلها سببا في ظهور سبع صور استعارية مؤثرة جعلها الإيقاع الداخلي أكثر قدرة على التأثير.

ونجد في الخطاب النثري كما هو الشأن في "حديث النساك" لدى التوحيدي مثلا؛ استعماله للاستدلال بخطاب العطف بواسطة معنى الواو العاطفة المقترنة بالمناسبات التي يقتضيها الخطاب، وتبعث على المؤانسة في إفادتها المعنى المطلوب، والتأثير المقصود . ومن وروائع العطف عنده في هذا المجال؛ استشهاده بأحاديث نبوية يرتبط فيها العطف بالاستثناء، وهو غرض من أغراض عطف المعاني يستلزم في استعماله تخصيص الظاهرة وتقريب صورتها من المستمع حتى تكون أكثر إمتاعا ومؤانسة . ولذلك كان موفقا في استذرافه لدموع الوزير ابن الفارض باستعماله منطق الاستدلال حينما أورد حديثا يقرن فيه العطف بالاستثناء، ثم أعقبه بآخر يعتمد مقدمتين ونتيجة، فجاءت صورته الاستدلالية مكتملة في نقل المعاني المعطوفة التي كانت أقرب صورة وأبلغ تأثيرا. يقول عن الحديث الأول:

قال النبي (ص) : "لايزداد الأمر إلا صعوبة، ولا الناس إلا اتباع هوى، حتى تقوم الساعة على شرار الخلق". ثم أعقبه بحديث استدلالي آخر : "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء من أمتي". فالنتيجة التي يسعى إليها التوحيدي في مؤانسته من خلال المعاني المعطوفة في الحديثين السابقين، هي بيان النتيجة التي يقصدها الحديث؛ وهي صفة المغترب أو الغريب التي يريد أن يؤنس بها.

وقد احتاج في بيان القصد من الخطاب، إسبال مزيد من المعاني المعطوفة، التي توضح صفته وتقرب صورته . ولذلك وضعه في صورة سؤال جدلي سأل التوحيدي من

(30) وجدان الصايغ : الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، 2003، ص247 .

خلاله (ابن الجلاء الزاهد) بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، بقوله : " ماصفة هذا الغريب؟ فأجاب في منتهى الإمتاع بقوله : " يا بني هو الذي يفر من مدينة إلى مدينة، ومن قُلة إلى قُلة، ومن بلد إلى بلد، ومن بر إلى بحر، ومن بحر إلى بر، حتى يسلم، وأنى له السلامة مع هذه النيران التي قد طالت بالشرق والغرب، وأتت على الحرث والنسل، فقدمت كل أفوه، وأسكتت كل ناطق، وحيرت كل لبيب، وأشرقت كل شارب، وأمَّرت كل طاعم؛ وإن الفكر في هذا الأمر لمختلس للعقل، وكارث للنفس، ومحرق للكبد" (31).

فكان لوقع هذه الصورة التقريبية التي نقلها التوحيدي في خطاب قصدي لمعان عاطفية متتالية أثر بالغ في نفس الوزير الذي بادره بعد الفراغ بقوله : "والله إنه لذلك، وقد نال مني هذا الكلام وكبر عليّ هذا الخطب والله المستعان" (32). فلما دمت عين الوزير ورق فؤاده استكملت الصورة الاستدلالية والبيانية جوانبها بالشاهد النبوي الثالث الذي جبر به خاطر الوزير في معان معطوفة بقوله :

"روي عن النبي (ص) أنه قال : "حرمت النار على عين بكت من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله" (33).

2- أغراض الاستلزام في القياس والتعليل بالعطف

حاول البلاغيون من خلال القياس والتعليل في استعمال خطاب العطف، الاعتماد على المقارنات في الأوصاف المعطوفة التي تجعل أسلوب العطف يمحس المعاني في ربطها بالعلل، مع مقارنة الأشباه والنظائر، وتمييز الفروق المحتملة في الاصطلاحات المتداولة. وكأن البلاغي يسعى في هذه المناسبة إلى النفاذ إلى شيء مبهم وغامض، أو التطرق إلى ماله علاقة بالاستتباط كما هو في علمي الفلسفة وأصول الفقه. وقد أشار يحيى العلوي في كتابه الطراز إلى هذا المعنى بقوله : "اعلم أن كل من أراد تشبيه شيء بغيره، فلا بد من اجتماعهما في وصف يكون دالا على الاجتماع، وعلمنا دالا على المبالغة" (34).

(31) نفسه 2/212.

(32) نفسه، 2/212.

(33) نفسه.

(34) العلوي يحيى : الطراز ، المقتطف، القاهرة ، 1914، 1/273.

ويحصر العلوي هذه الجهات الجامعة في باب التشبيه في ستة أقسام:

- أ . الأوصاف المحسوسة.
- ب . الأوصاف التابعة للمحسوسات، وذلك إما في الشكل أو المقدار أو الرخاوة.
- ت . في الأوصاف العقلية.
- ث . في الأوصاف الوجدانية.
- ج . في الأمور الخيالية.
- ح . في الأمور الوهمية.

أي أن الفلسفة "التعليقية" في الربط هي الأساس الأولي الذي كانت تعتمد عليه النظرة البلاغية في قراءتها للصور الشعرية والنثرية قصد توضيح المعنى المستلزم عن طريق التخيل أو التوهم، ونذكر من ذلك مثلاً قول امرئ القيس:

أيقنتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال ؟

فالصورة الشعرية أكثر غموضاً وإبهاماً من الفكرة التي يريد الشاعر التعبير عنها، وذلك لأن الصورة في العمل الأدبي ليست وسيلة لتقريب الشيء الغريب وتحويله إلى شيء مألوف، بل هي عكس ذلك قد تحول الشيء المعتاد إلى أمر غريب عندما تقدمه في ضوء جديد، وتضعه في سياق غير متوقع⁽³⁵⁾.

وقد نجد التعليل بخطاب العطف في بعض الأحيان يستلزم "المعنى التناسقي" الذي يفضي إلى عدد من النتائج التي ترد معللة حسب مدارج البيان الذي تقتضيه نتيجة كل لفظة في مستواها التراتبي. ومن أمثلة ذلك:

".. وقلة الهيبة رافعة للحشمة، وارتفاع الحشمة باعث على الوثبة، والوثبة غير مأمونة من الهلكة...، وما أكثر خجل الوثائق، وما أقل حزم الوامق، وما أقل يقظة المائق"⁽³⁶⁾. وهو نموذج من الأمثلة التي وردت في معاني العطف التي يظهر من خطابها المستويات التراتبية التي تحدد درجات كل من : الهيبة و الحشمة والوثبة، حسب مستوياتها التصاعدية أو التنازلية. وهذا المعطى له أبعاد نظرية في الدراسات اللسانية التداولية

(35) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص. 82.

(36) نظرية البنائية في النقد الأدبي، 176/2.

المعاصرة . ففي المثال السابق الأجزاء المعطوفة مرتبة حسب المعطى الآتي : (أ ب ج د) :

(أ) : قلة الحشمة ، (ب) : قلة الهيبة، (ج): باعث الوثبة، (د) : (النتيجة : الهلاك) فقد لزم عن كل قول ما يقع تحته، وتقضي كلها إلى المدلول؛ وهو النتيجة التي قصدتها في أعلى السلم وهي (الهلاك). ففي التعبير عن مستويات العطف التي اعتمدها، لجأ إلى الترتيب التصاعدي في السلم حيث إن الدليل الذي يعلو الآخر يكون هو الأقوى دلالة من الذي هو تحته، وفي قاعدة كل سلم، نجد ثلاثة أطراف في الخطاب تم التمييز بينها، بواسطة معاني العطف المستعملة. وقد أخذت مسألة مراتب الحجاج باعتبارها ظاهرة لغوية، صبغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة⁽³⁷⁾، حيث تميزت بدراسة وظائف ومرتبات الخطاب من خلال الألفاظ الدالة على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد .ومن الذين اهتموا بهذه الدراسة الإناسي الأمريكي سابيير إدواردSAPIR⁽³⁸⁾، وكذلك الفيلسوف واللساني الفرنسي أوزفالد ديكرودUCROT⁽³⁹⁾، وكذلك صاحبه أسكومبر ASCONBRE⁽⁴⁰⁾. واللساني المنطقي جيل فوكوني FAUCONNIER⁽⁴¹⁾. فقد حاول ديكرود في هذه النظرية التي بدأ تشكيلها في نموذج(1973) ، ثم تابعها في نموذج(1980)، أن يدرس مجموعة من معطيات هذه النظرية الحجاجية انطلاقاً من ظاهرة النفي، ودور قوانين الخطاب في معالجة ظواهر (SCALAIRES) للصورة التي طورت مع FAUCONNIER. والتي تشير إلى أن الجملتين (أ) و (ب) تنتميان إلى حقل استدلالي حجاجي متشابه يعرف بالملفوظ (د) عندما يعتبر المتكلم أن (أ) و(ب) براهين لصالح (د)⁽⁴²⁾.

ونستخلص من هذه المعطيات في قصدية خطاب العطف؛ أن مفهوم الحقول

(37) طه عبد الرحمان :اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، م، ص. 273- 274 .

(38) Sapir, Edward "Some aspects of Nootka language and culture". *American Anthropologist*, 1911 (13): 15-28.

(39) Ducrot (O), *Les Echelles argumentatives*, Paris, Minuit, 1980.

(40) J.C. Asconbre "Même le Roi de France est Sage ", *Communications* 20, 1973, - "Il était une fois une princesse aussi belle que bonne" *SemantikosI* , 1975.

(41) Fauconnier, G. "Pragmatic scales and logical structure". *Linguistic Inquiry*, 6, 353-375. 1975.

(42) DUCROT, *Les Echelles argumentatifs*, Paris, Minuit, 1980, p 17.

الحجاجية مرتبط بالنتيجة من جهة، وبالتكلم من جهة أخرى. فعندما ينتمي معنى جملة أو أكثر إلى الحقل الاستدلالي الحجاجي نفسه يعني ذلك؛ أنهما يسعيان إلى نتيجة واحدة ويمثلان أيضاً اختيار المتكلم حيث يختار منهما الدليل الأنسب. وهو مستوى نظري وتطبيقي نجد معطياته واضحة في معاني العطف التي تستعمل في الاقتضاءات، وفي الاستلزام التخاطبي الذي تعتمد عليه عملية القول⁽⁴³⁾.

3. استلزام العطف بتوارد الأوصاف

وتمثل هذه المناسبة في خطاب معاني العطف، النزعة الوجدانية وهي أشد إمتاعاً للخيال، وأكثر علوقاً بالنفس لتعلقها بالحس وارتباطها بالحياة والعواطف الإنسانية الخالدة التي تتجاوب أصداؤها في نفوس البشر جميعاً⁽⁴⁴⁾. وتأخذ المعاني المعطوفة في التعبير عن الأوصاف والأضداد عدة مواقف يستلزمها المقام، وأشهرها عطف أسماء الصفات المتناقضة. ويحتاج البحث في مجال الصفات المتناقضة في العطف إلى ما يمكن أن يطلق عليه بمنهج الاستبطان للبنية العميقة بحسب ما أشار إليه يحيى العلوي^(705هـ)، إذ إن هذا المستوى يسهم في إدخال بنية العطف في دائرة الاحتمالات، وهي دائرة موهلة في الجمالية⁽⁴⁵⁾. فمثلاً في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا)⁽⁴⁶⁾ قدّم العلوي في كتابه "الطراز" ثلاثة احتمالات تبرز استلزام الوصف في قوله تعالى (وليس البر). لما قبله، ومنها :

أ - أن الخطاب القرآني وصف الأهلة بأنها مواقيت للحج على مستوى السطح، ثم استحضر في العمق عادات العرب الذين إذا أحرموا لم يدخل أحدهم بيتاً ولا خيمة، ولا خباء من باب، بل إن كان من أهل المدر نقب نقباً من ظاهر البيت يدخل منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة أو الخباء. فكان استحضار الصورة لكل ذلك مسوغاً للوصل في بنية السطح؛ لأن التقدير أنه

(43) شكري المبخوث: إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006، ص 207. وما بعدها.

(44) ينظر: رسائل أبي حيان التوحيد، تحقيق ونشر: إبراهيم الكيلاني، دار طلاس للترجمة والنشر، ص 59.

(45) ينظر: الطراز 49/2-50.

(46) البقرة: الآية 189.

قيل لهم ليس البر تحرجكم من دخول البيت، ولكن البر من اتقى محارم الله .

ب - أن يكون في بنية السطح حذف سوغته البنية العميقة، وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهله : معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى فيه حكمة عظيمة، ومصلحة ظاهرة في الأهله وغيرها، فدعوا هذا السؤال، وانظروا في خصلة تفعلونها أنتم مما ليس من البر ، وهي إتيان البيوت من ظهورها فليست برا، ولكن البر هو تقوى الله تعالى وتجنب محارمه ومناهيه .

ت - يعتمد التأويل في التعامل مع بنية السطح، حيث تكون الصياغة على جهة التمثيل لما هم عليه من تعكيس الأسئلة ولما هم بصدد من التفتت، وأن مثالهم في سؤالاتهم المتعنتة، كمثّل من ترك باب الدار ودخل من ظهر البيت، فقليل لهم : ليس البر ما أنتم عليه، ولكن البر هو التقوى⁽⁴⁷⁾.

بهذه الاحتمالات التي طرحها العلوي متابعاً فيها الزمخشري (ت. 538 هـ)⁽⁴⁸⁾، يعيد العلوي والزمخشري من قبله "لبنية السطح انتظامها، برغم ما توهمه العلاقة الدلالية من كمال الانقطاع الذي يحتم الفصل"⁽⁴⁹⁾. ومع صحة هذه الآراء، إلا أن استلزام الأوصاف المتواردة التي يحملها العطف، تدعو المحلل للخطاب إلى أن الوصل بين الجمل لا يكفي فيه التماثل والتوازي والتوازن، وإنما يتطلب شيئاً آخر لعله يبرز من خلال جمالية التناسق والتلاحم عن طريق التضاد .وهو ما أشار إليه التوحيدي، ضمن مجموعة من المعاني المكتنزة في عبارات وجيزة يربطها عطف متلاحق في أوصاف متواردة يقول :

" وقد تقرر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله مختلفة، أعني أن كل ما يدور عليه ويحور إليه مقابل بالضد أو شبيه بالضد كالحياة والموت، والنوم واليقظة، والحسن والقبيح، والصواب والخطأ، والخير والشر، والرجاء والخوف، والعدل والجور، والشجاعة والجبن، والسخاء والبخل، والحلم والسفه، والطيش والوقار، والعلم والجهل، والمعرفة والنكرة، والعقل والحمق، والمدح والذم، ولعل هذه الصفات بلا آخر

(47) ينظر: الطراز 50-49/2، والبلاغة العربية قراءة أخرى :محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية- لونجمان ، 1997. 316-317.

(48) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص. 706-707.

(49) البلاغة العربية قراءة أخرى. 317.

ولا انقطاع"⁽⁵⁰⁾. فهذا النوع من الخطاب في العطف، لا يخفي خصوبة المنحى الوجداني الذي عبر عنه التوحيدي في مواقف مختلفة تثير أبعاداً نظرية لفلسفة أخلاقية ملحوظة. إنه الاهتمام بقضايا النفس وما تستلزمه من خطاب يتعلق بالعقل، والزمان والمكان، والعالمين العلوي والسفلي، والخلقة والمعاد، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والصداقة والصديق...، وقد استعان البلاغيون بخطاب العطف في بيان مراتب الأخلاق بما اطمأن إليه وجدانهم من المعاني المعطوفة التي يرون فيها تحديداً مناسباً لإدراك مفاهيمها وبيان مراتبها :

"على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة، فيبعد أن يعمها حد واحد، وإنما اختلفت منازلها لأنها تارة تصفو بقوة النفس الناطقة، وتارة تكدر بالقوتين الآخرين، ولبعضهما حدة بالزيادة، ولبعضها كلة بالنقص، فلم يكن التحديد يفصل كل ذلك.." ⁽⁵¹⁾، ولعلنا ندرك هذه المراتب الخلقية في أصداد بعض المصطلحات المستعملة كالحرارة، والبرودة، والرطوبة واليبوسة، التي وضح من خلال مراتبها بمعاني العطف جملة من الأوصاف الخلقية المتواردة :

♦ الإنسان إذا غلبت عليه الحرارة يكون :شجاعاً نزالاً ملتهباً، سريع الحركة والغضب قليل الحقد، زكي الخاطر، حسن الإدراك.

♦ إذا غلبت عليه البرودة يكون :بليداً، غليظ الطباع، ثقيل الروح.

♦ إذا غلبت عليه الرطوبة يكون :لين الجانب، سمح النفس، سهل التقبل، كثير النسيان.

♦ إذا غلبت عليه اليبوسة يكون :صابراً، ثابت الرأي، صعب القبول يضبط ويحتد، ويمسك ويبخل...وفي هذا بدائع لاتكاد تنتهي وعجائب لاتنقضي⁽⁵²⁾.

ولعل المتلقي الممثل في شخص ابن عباد في علاقته بالتوحيدي له شأن في مقتضيات أصداد معاني عطفه، وما يقصده من أوصاف. وهذا الحضور الذي يمثل مبدأ تعاونياً في تصور الاستلزام التخاطبي، نلمس أبعاده في تفكير الرجل وتصوره لذاته التي ينعتها بالاعتدال في الأحكام والاعتزان في كل حال. وهو الأمر الذي يبرر به النوع

(50) الإمتاع والمؤانسة، 1/101.

(51) نفسه، 1/111.

(52) نفسه، 1/114.

القدحية التي أوردها في أصداد عطفه، وكأنه من نقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال يقول : "إني رجل مظلوم من جهته، وعاتب عليه في معاملتي، وشديد الغيظ لحرمانني، وإن وصفته أَرَبَيْتُ منتصفاً، وانتصفت منه مسرفاً، فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب، أو عارياً منهما جملة، كان الوصف أصدق، والصدق به أخلق؛ على أنني عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نفسي الغزير، ولفظي الطويل والقصير" (53).

فلاشك أن اللفظ الطويل والقصير الذي أشار إليه التوحيدي في خطاب العطف في نهاية هذا النص، يشير إلى انسباك مواهبه الأسلوبية في التعبير الطويل والقصير. كما أن معاني العطف التي استعملها عن طريق الاستلزام، قد أغنته عن كلام مسكوت عنه في مناسبات مختلفة، قد تأتي تارة في عطف قصير بعبارات وجيزة واضحة، وقد تأتي أيضاً في عطف طويل يكلف القارئ والسامع ملاحقة المعاني التي يروم الاستئناس بها. وفي الحالتين؛ تصاغ الأفكار تارة في حكم شعرية، أو أمثال نثرية مضروبة تزيد الكلام إمتاعاً، والحجة إقناعاً.

الخاتمة

تظهر أهمية هذا الموضوع في كونه يناقش عدداً من القضايا التي تحمل أبعاداً بلاغية ومعرفية في موضوع العطف. وهذه الأبعاد تساهم في بناء نظري يمكن استثماره في طرق الاستلزام التخاطبي التي تؤدي دوراً أساسياً في التحوار، والتخاطب في النص العربي. فالبلاغة العربية تساهم بقدر كبير في الإشارة إلى المناسبات المختلفة التي يمكن أن تحمل تعاقبات على مستوى المعنى في الكلمات والجمل، كما لها دور كبير في دراسة القضايا اللغوية التي لها علاقة بعملية القول. وقد اكتفينا في هذا العمل بنماذج تبرز أهمية التعلق المعنوي وعلاقته بالاستلزام في العطف، علماً أن موضوع "الاستلزام التخاطبي" عند غرايس يرتبط بمبادئ منها مبدأ التعاون، الذي يدل على أن توقعات المتحاورين ترى بأن المبادئ الأساسية تتغير وفقاً لنموذج التفاعل الذي تحدث فيه، فتتحقق في الواقع علاقة ما بين مبادئ أساسية في المحادثة، ترتبط بنشاطات معينة، خاصة بالكيفية والكمية والأسلوب، والعلاقة، والمناسبة. وغرضها أن توضح شروطاً مسبقة للتبادل التعاوني العقلاني للحوار.

فاختيارنا لهذا الموضوع يفترض بأن القواعد التخاطبية يمكن أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطب إفادة في التبليغ في مواضيع اللغة؛ بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم و المخاطب معاني صريحة و حقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يمثلان لبعض هذه القواعد، رغم كونهما يسهمان في حفظ مبدأ التعاون حسب تعبير غرايس. ولكن كلما وقع انزياح بسبب المخالفة في المعنى، فإن موضوع المعنى الذي تقتضيه المخاطبة سينتقل من المعنى الظاهر، إلى المعنى الضمني، فتكون المعاني المستعملة في التخاطب عبارة عن معاني ضمنية غير صريحة، ونجد في مجال اللغة والبلاغة أمثلة كثيرة، خصوصا في علم المعاني ، الذي يتضمن حالات كثيرة كالسخرية و المجاز والكناية. وفي تحليلنا لهذه المواقف اللغوية البلاغية التي تتضمن أبوابا خاصة كالعطف الذي اخترناه موضوعا لهذه الدراسة، نحتاج إلى الرجوع إلى مبدأ التعاون، فالمعنى الضمني يعتمد على الافتراض؛ وذلك لأن المعنى المقصود يتصل بالمعنى الظاهر للكلمات ويرتبط بالموضوع؛ من حيث الإفادة والإخبار.

المراجع :

- آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة أبوريعة ، القاهرة، 1941.
- جواني أحمد عبد الستار : نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ن بيروت ، لبنان، 2006.
- الجاحظ أبو عثمان : المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1969 م.
- ابن جني أبو الفتح عثمان :اللمع في العربية ، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1985م.
- أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997 م.
- أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر بتحقيق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، ومطبعة الإنشاء، دمشق 1964.
- خطابي محمد : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1991/1.
- الخوري بشارة عبد الله :شعر الأخطل الصغير ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.
- الزمخشري جار الله أبو القاسم :المفصل ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان، 1323 هـ،
- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي :مفتاح العلوم، دار الكتب .
- الشريف الجرجاني : التعريفات ، الدار التونسية للنشر، 1971.
- الكيلاني إبراهيم :رسائل أبي حيان التوحيدي تحقيق ونشر ، دار طلاس للترجمة والنشر.
- صلاح فضل :نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1980.
- الصايغ وجدان :الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، 2003.
- طه عبد الرحمان اللسان والميزان ، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م.
- عبد المطلب محمد : البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية-لونجمان ، 1997.
- العسكري أبو هلال : كتاب الصناعتين، الطبعة الأولى عيسى البابي الحلبي 1952.
- العسكري أبو هلال : ديوان المعاني، تحقيق : أحمد حسن بسج، باب العطف، دار الكتب العلمية، لبنان، 1994.

- عكاشة عمر يوسف :النحو الغائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان،2003، ص.305-305.
- المبخوث شكري :إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس،2006.
- ابن هشام الأنصاري :شرح قطر الندى وبل الصدى : ، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1988م .
- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، القاهرة، 1936.
- ANSCOMBRE, J.C, « Même le roi de France est sage. Un essai de description sémantique », in *Communications*, Paris,1973,no 20, 40 - 83
- ANSCOMBRE, J.C "Il était une fois une princesse aussi belle que bonne" *SemantikosI* , 1975. -DUCROT, O, *Le Dire et le Dit*, Paris Minuit, 1984.
- DUCROT, O, *Les Echelles argumentatifs*, Paris, Minuit, 1980.
- Fauconnier, G. "Pragmatic scales and logical structure". *Linguistic Inquiry*, 6, 353-375. 1975.
- MOEHLER,J., *Argumentation et conversation, Eléments pour une analyse pragmatique du discours*, Paris, Hatier, 1985.
- Laurence R. Horn, *The handbook of pragmatics*, Wiley-Blackwell, 2005.
- Wayne - A. Davis : *Implicature: intention, convention, and principle in the failure of Gricean theory*, Cambridge University Press, 1998
- Sapir, Edward, "Some aspects of Nootka language and culture". *American Anthropologist* 1911 (13): 15-28.